ثورة حب وانكسار قلب

ابراهيم حميدي

ثـورة حـب

وانـكسار قلـب

ابراهيـم حميدي

<u>اسم الكتاب</u>: ثورة حب وانكسار قلب

<u>الكاتب</u>: ابراهيم حميدي

طبع هذا الكتاب بعد موافقة وزارة الإعلام في الجمهورية العربية السورية بموجب كتاب اتحاد الكتاب العرب رقم ٤٧ تاريخ ٢٠١٥/٢/١٩ وتأشيرة وزارة الإعلام رقم ١٠٦٧٦

<u>جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلف</u>

<u>الطبعة الأولى ٢٠١٥</u>

ثورة حب

وانكسار قلب

ابراهيم حميدي

إهداء

إلى وطني الّذي يسكن فيَّ ويسري حبّه في عروقي ..

و إلى من يُمثّلان النّور في طريقي.. والديَّ

و إلى إخوتي الّذين أمدّوني بالحبّ والسّعادة في كلِّ مراحل حياتي ..

و إلى أروعِ الأصدقاء الّذين تركوا بصمة فرحٍ على جبيني ..

و إلى كلّ من ساندني و وقف بجانبي بفعلٍ أو برأيٍ أو بكلمة ...

وإلى ملهمتي ..... أهدي هذا الكتاب

ابراهيم حميدي

تمهيد[1]

لعلّ توجّسي كان بمكانه حينما رنَّ جرس هاتفي في ليلٍ متأخرٍ من ليالي ديسمبر،وكان قد توسط شاشته "ابراهيم حميدي يتّصل بك " فوجئت بالوقت و أُدهشت أن يكون ذلك المشغول قد فرغ أخيراً ليتصل اتصالاً مباشراً بعد أن كان ، لأحيانٍ ، يترك رسالة اطمئنانٍ عبر إحدى وسائل التواصل الاجتماعي . وكان أحياناً كثيرةً لا يفعلها . لم أكترث كثيراً لتوجّساتي خشية أن ينتهي الاتصال وتلعب شبكة الهاتف دورها السّلبي في التّواصل فيقتلني الفضول .

كلماته كانت غامضةً وإحساسه بدا مرهفاً أكثر من ذي قبل ، لدرجة أني شعرت به من خلال صوته وبكلماته الأولى !

قال معتذراً: لم أنتبه للوقت إلا عندما رنَّ الهاتف فلم يعد بإمكاني أن أنسحب ...أرجو المعذرة . قلت له مشدّدة على أن الوقت مناسبٌ ولا داعي للاعتذار : أهلاً بك ...هل أنتَ بخير ؟ أدركت من خلال تنهّداته أنَّ شيئاً ما يريد البوح به ولكن غموضه كان

[1] المقدِّمة بقلم الصّديقة الرّائعة والزّميلة العزيزة أ.مها ابراهيم

يعطي للبوح همساً يجعله معقدّاً من جهة ، و شاعرياً جذاباً من جهةٍ أخرى ...

"إنَّه الحبُّ يا مها" قالها معترفاً و كأنَّ كبرياءه ذاك قد غفى في لحظتها..!

كان بعفويته ، لكنه يحترس لأناقة كلماته ، فهو أنيقٌ بكل شيءٍ يتعلّق به .أنيقٌ بمظهره وروحه واختياراته لكتبٍ يقرأها أو لمعزوفةٍ يسمعها أو لهديّةٍ يقدّمها لشخصٍ يعزّه ...تجده يعزف أناقةً حين يختارها .. كذلك كانت كلماته.

لعلّ من يعرف ابراهيم حميدي عن قرب ، يدرك بأنّني لم أبالغ أبداً. ويدرك أنني لم أوفّه حقّه بعد .

لزمت الصّمت بعد أن باح بسرّه ، علّه يسترسل بحديثه فيبدع كعادته .. ربّما تُولَد قصيدةٌ جديدةٌ تُضاف إلى قصائده التي تسحرك حين تقرأها أو تعيشها وكأنَّك تشاهد فيلماً سينمائياً.

رغم محاولاتي استدراجه بالكلام ، لم يقل الكثير حينها ..

كنتُ سعيدةً جداً عندما أخبرني بأنه سيطبع كتابه الأول بعد أيام ، ويكون بذلك قد أخذ بنصيحتي الّتي ردّدتها كثيراً-كما ردّدها كثرٌ- على مسمعه منذ التقينا في كليّة الآداب في جامعة حلب وقرأت له الكثير من خواطره وقصائده الساحرة.

و كنتُ سعيدةً أكثر وكان حظي أجمل حين طلب مني أنا أن أكتب له مقدمة كتابه الذي سيكون رائعاً حتماً ،لا سيما وأنّه ينبع من قلب أبيض اللون وتترجمه أنامله الّتي تعكس العطف الذي سكن روحه.وكأنّه يهديني هديّة غير تلك التي قدمها لي عندما كنا في السّنة الثّانية من مرحلتنا الجّامعية.لن أطيل الشّرح عن الأناقة التي مثّلت طريقته في الإهداء حينها،ولكن سأذكر ذلك القلم الجّميل الذي وضعه بتأنٍّ بجانب رواية أحلام مستغانمي "الأسود يليق بكِ" وحين سألته عن سرّ القلم ذاك الذي يشبهه ، قال لي: "من يقرأ لابد أن يكتب " فكانت تلك الهديّة وتلك الكلمات المنتقاة هي الأغلى من أخٍ عزيزٍ وصديقٍ غالٍ هو ابراهيم حميدي.

متلهّفةً طلبت لقائه بأسرع وقتٍ حين أخبرني بأنه سيأتي بعد يومين إلى بيروت . فكنت بانتظاره مع ذلك الكتاب الذي قرأته دون كللٍ لمراتٍ عديدة .

"ثورة حُبٍّ وانكسار قلب " وكأنني قرأت العنوان في ذلك الحزن الساكن في عيون كاتبه وقلبه الملتاع....

حدّثني عن تلك المليكة (كما يحب أن يسميها) التي سرقت قلبه وراح يكتب عنها . لم يتحدّث وحده ، بل تحدث كلّ شيءٍ فيه عنها .

لم أرى عاشقا صادقاً كما بدا لي هذا الشاب الذي كان يفاجئني بكل حرف يقوله .. كيف لا وهو أمير الحرف (كما تناديه إحدى صديقاته) ؟!

لم يطيل الحديث كثيراً. كان ينوي التحضير ليسافر غداً عائداً إلى حلب حيث سيراها وإن كان دون الحديث أو حتّى النّظر إليها.!

مضى ذلك الطّفل الكبير و حمل معه أوجاعه وآلامه وحسراته وترك لي كتاباً كان أشبه بموسيقى "بِت هوفن".

مع كلّ سطرٍ قرأته ،كنت أتذكّر ابراهيم في حدثٍ أو في موقفٍ سابقٍ.فحيناً تذكّرته يتأمل البحر هذا الذي يعصف الآن بجانبي ، وحيناً أخرى تذكّرته يتعبّد شجرة الياسمين تلك التي تغطّي سور كليّتنا التي أحنُّ إليها الآن .

سافرتُ مع كلماته ، ومع إحساسه ..كان إحساسه طيراً يحلّق في سماء المشاعر ، بل شاعراً يحلّق بين الطّيور في سمائها ... تذكّرت فنجان قهوته وجريدته التي كان يتصفحها كلّ صباح ، وتذكرت طلّته المشرقة حين زارني قبل عامٍ في الجّامعة الأمريكية في بيروت وكأنّه يحمل إليَّ وطني بين يديه ...

"ثورة حبٍّ وانكسار قلب " نعم هذا ما يبوح به هذا الكتاب الجميل.

هنيئاً لتلك الجميلة التي سكنت قلبه ونامت بين سطوره.

الحديث يطول ويطول عن ذلك الشاب البسيط في كلّ شيءٍ إلّا في إبداعه. ذلك المميّز صاحب الإحساس المرهف والذوق الرّفيع .

ذلك الأخ الذي منحني الشّرف والسّعادة حينما اختارني أنا من بين الكثيرين لأكتب له تمهيداً لهذا الهمس من الكلمات.

يطول الحديث ويطول الوصف ، ولكن سأتوقّف هنا فاسحةً الطريق أمامكم لتحلّقوا مع خيال هذا الكاتب العاشق من جهة ،ولأنني واثقة بأنّي سأكتب عنه يوماً كنجم لامعٍ في سماء الكتّاب من جهة أخرى ...

أمنيتي أن تنتصر ثورة حبّه ويتعافى قلبه المنكسر...

مها

تعريف بالكاتب

تعريف بالكاتب

مَنْ أنا ؟

أنا اللّاشيء الّذي

يختصر كلَّ شيء

من أنا ؟

من عبثيّة الزّمان

ولدتُ ... و كنتُ هنا

*****

من أنا ؟

قطرة ماءٍ

نزلتْ من السّماء

نبتة حنضلٍ

تشبّثتْ في الأرض

صارت دواءً ... أنا الدّواء

*****

من أنا ؟

في كنف المكان

صار لي أبٌ

اسمه ... أبي

و أمٌّ ..اسمها العروبة

ولي تاريخٌ مُهْمَلٌ

في غياهب الظّلام

و حاضري ... أُكذوبة

*****

من أنا ؟

روحٌ متمرّدة

و نفسٌ شرّيرة

على وطني عينٌ حارسة

وعلى عدوّي نارٌ سعيرا

وجبتي الرّئيسة

نشرة أخبارٍ

و مرقدي حصيرة

*****

من أنا ؟

أملٌ مشْتَقٌّ من بين الصّخور

يحمل الحبّ

ويعبر في زحمة المرور

أنا حبّة البَركة في دار جدّتي

و عيدان البخور

*****

من أنا ؟

نقطة اتّصالٍ بين اليقين

وبين الخيال

دمعة مظلومٍ

تخرُّ ساجدةً لها الجبّال

*****

من أنا ؟

واقعٌ عربيٌّ مرير

دمشق فيه تنزف

وعراقه أسير

غنيٌّ بنفطه .. بثروته

وبكرامته معدمٌ .. فقير

أقصاه مستباحٌ

و أولويّة جهاده

في السّرير !

*****

من أنا ؟

شهيدٌ أُجهّزُ

بِيَدي قبري

كاتبٌ ولي قلمي

بل قلمٌ خطَّ سطوره

و ذاب الكاتب في حبري

إلى مليكتي ....

عندما رأيتُ عينيكِ للمرَّةِ الأولى ،

لم أكن أحملُ روزْنَامَتي.

ولِهذا ،فإنّي أجهلُ تاريخَ ميلادي ...

كبرياءُ عينيكِ

كبرياء عينيكِ

كبرياء عينيكِ يعصف في ذهني
وحين يراكِ القلب يحتضر ..
أيَا امرأةً تفوقُ بحسنها الوصف
وتغار الكلمات من عينيها و تنتحر
*****
رُقيٌّ .....جَمالٌ
عُنفوانٌ .....ذوقٌ وسحر
نام الياسَمين محسوداً على خَدّكِ
وغدا النَّرجس إلى عطركِ يفتقر
*****
أَتَسْتَغربين نظرةً منّي
وحين أراكِ أقف دقيقة صمتٍ
وبقلبي النَّار تستعر ؟!
رفقاً بهذا القلب سيّدتي ..
فالصَّدر نَفُذَ منه كلُّ الصَّبر
أحبُّكِ بحجم الوطن ..
أحبّكِ بكلّ فنون العصر

أَيَا امرأةً دافئة الملامح
يا وردةً يساوي رحيقها العمر
مذهولٌ برقيّكِ ...
معذَّبٌ .. ممزَّقٌ .. مندَثر
*****

أحبُّك ولا أُبالي ..
وعن نَظَرَاتي البريئة
لا أعتذر
و عن جنوني
لا أعتذر
*****

أَهوَ ذنبٌ إن جعلتُ من أصابعكِ
شموعاً تُضيءُ طريقي
وفضَّلتكِ على كلّ النّساء
و صنعتُ من جبينكِ حضارةً وفكر ؟!
أهيَ حماقةٌ إن كتبتُ عنكِ
وجنَّدتُ لعينيكِ الشِّعر والنَّثر ؟

ثورة الحب

ثورة الحب

أردتُ أن أُشعل نار الحبِّ في قلبكِ ، وجهدتُ أن أجعل منكِ عصفورةً أُحلِّقُ بها فوق السَّحَاب ، وأهيمُ بها في السَّماء كقمرٍ تسَيَّد على كلِّ النّجوم...

أردتُ أن أحبّكِ على طريقتي ، و أن أعيشكِ على طريقتي ، وأن أصنعَ منكِ أسطورةً تدحرُ كلَّ الأساطير... أردتُ أن أحني الحبَّ أمام كبريائكِ ، وأتوّجكِ ملكةً على كلِّ العاشقات...

وفضَّلتُ أن أحدّثكِ بعينَيَ ، فرحتُ أختلسُ النَّظرات ، وأهمس بصمتٍ كان يستبيح شجون الرّوح دون أن ينطق.!

اليوم سأكون واقعيّاً أكثر يا سيّدتي ..و أخبركِ بأنَّني ما فضّلت لغة العيون يوماً ، وما أردتُ لغة الصَّمت تلك

الّتي تقطع ولا توصل ...

لا .. بل جبنتُ أن أبوح لكِ بحبّي ، و جبنتُ أن أقف أمام حسنكِ كما يقف العشّاق أمام الجَّميلات ، متنهدينَ آلام الحبِّ ، ومسافرينَ بنظراتهم نحوَ الخيال الّذي يشبه الواقع الجَّميل حينما تُحْبَسُ الأنفاسُ رعشةً ، وتذوبُ الأحاسيسُ حبّاً وهياماً ويكونُ الاعتراف هنا نتيجةً حتميَّةً ، والقبول افتراضياً ..متوقّعاً.

أنا لستُ كأيِّ عاشقٍ ولستِ أنتِ كباقي النِّساءِ يا سيّدتي ..

كنتُ أختلس النَّظرات بعينيَ اللتينِ كانتا تستجديان نظرةً منكِ لتخبراكِ عن سهر اللّيالي الطوال أمام الشّمعة الباكيّة ...

لستِ كباقي النّساءِ يا سيّدتي .. لستِ كباقي النّساءِ .

ربّما أميرةٌ .. ملكةٌ و ربّما ملاك

نعم ..ملاك ..

ملاكٌ يوحي إلى قلبي المعذّب أن أُشعل الثّورة في قلبكِ ، وأن أكون فارساً لا يهاب الهزائم ، و أن أتحدّى نار العشق الّتي ستشتعل في هذه الثَّورة ...
و لكنّني احترقت بنارها قبل أن تشتعل ، وكنتُ وقودها وضحيّتها قبل أن تحدث.

أردتكِ أن ترتديني حلّةً تلغينَ بها كلّ ألبستكِ ، وظلاً يحجب شمس الصّيف عن رؤيتكِ ، و أردتكِ أن تنزليني قطرة مطرٍ تروين بها عطشاً على شفتيكِ ..

ربّما جعلتكِ ملكةً مستبدّةً و لهذا لم أجرؤ أن أعترض موكبكِ المكلّل بالكبرياء والصّدود لأخبركِ عن عشقٍ راح يعتلى أسمى المشاعر ويخلق في الرّوح عذاباً ، و في الجسد

نحولاً كشمعتي الّتي يموت منها جزءٌ كلّ يوم، ويشهد ما تبقّى منها على عذابي ، الذي ربّما يؤدّي بحياتي قبل رحيل بقيّة أجزاء شمعتي الحزينة المتعاطفة !

ربّما تضحكين .. و ربّما لا يعنيكِ هذا الكلام شيئاً ... و أنا أتفهّمكِ ...

وربّما تعتبين وتتّهميني بأنّي أنا من وضعَ عراقيلاً وهميّةً أمام حبّه وراح يفكّر ، بعاطفةٍ شرقيّةٍ لا يستطيع العقل إنقاذها ، كيف يتغلّب على تلك العراقيل .. و ربّما تستنكرين عاشقاً يستبدل السّيف بالجّبن والمواجهة بالهروب...

و كأنّكِ تريديني فارساً يكسر كلّ حواجز التردّد و يدعس سخافات المجتمع و يتغلّب على عقليّته المنهزمة و يصل إلى قلب محبوبته رغماً عن كلّ ما يحول دونها .. و أنتِ محقّة .

و لكن دعيني أخبركِ وأُسهبُ في الشّرح ،علّكِ تدركين من تكونين أنتِ بالنّسبة لي ...

إنَّ امرأةً مثلكِ تحتاج إلى قاموسٍ يجتاز بها كلّ اللّغات ، وحُبّاً يشمل حبّ الأطفال والأمراء والشّعراء ، ويشمل حُبّ العصافير والأشجار ....

حُبّاً يمجّدكِ ، ويحمد الله أن نالَ شرف حضوركِ أسطورةً متميّزةً بين صفحاته ...

تذكّري بأنّكِ لستِ كباقي النّساء ولهذا لم أكن أنوي أن أخاطبكِ كما أخاطب امرأةً أخرى ، أو أن أجيء إليكِ بطريقةٍ تقليديّةٍ ،بلا قصائد وبلا كتبٍ تنهل من ضياء عينيكِ سطوراً وتحبسُ الألفاظ ابتغاء وجهكِ المشرق كشمس الرّبيعِ الدّافئة ، و أكون حينها عرضةً للرّفض أو للموت ، ولا فرقَ بينهما ... وهنا أعلن موتي ..

و أنا ، وبكلّ صراحةٍ يا سيّدتي ، أفضّل حياةً تملؤها رائحة عطركِ بعذابٍ يستبيح روحي وجسدي على أن أرحل إلى جنّةٍ لا تكونين أنتِ فيها ... فأنتِ جنّتي و أنتِ حالة عشقٍ أعيشها بكلّ جوارحي و بكلّ ما للهيام من سلطانٍ على قلبي الّذي باتَ أسيراً راغباً بين يديكِ ..بل أنتِ رقيٌّ للرّوح وحضارةٌ للجَّسد ...

اسمحي لي يا عزيزتي أن أخبركِ بأنّني كنت أنتظر الصَّباح بفارغ الصَّبر بأعينٍ باتَ النّوم حلمها و سكن الإرهاق أحداقها لكي أرى ومضةً سريعةً من حسن عينيكِ اللّتينِ يشبهن سماء مدينتي الصَّافية ..وأقف أمام شموخكِ لاجئاً منفيّاً من ذاتي و من كبريائي مستجدياً رِقَّةً كانتْ أَشْبَهُ بالعدم الّذي يحبط كلّ الآمال و يستثير جلّ الآلام ...

كنتُ كالطّفل أحمل عشقاً بريئاً يجتازه الضَّعف والكبت منتظراً شروق وجهكِ الملائكي لأُسمعكِ دواويناً من

الصَّمت بلغةٍ مفقودة المعالم لم أستطع نسجَ حروفها ...لكنَّها خير تعبيرٍ عن حبٍّ حزينٍ ، فرحٍ ... قد تعمَّق في مسام فؤادي منذ زمنٍ ولازال يسيّرني ...يقتلني ... ثمَّ يمنع الموت عنّي .!

ربّما فشلتُ في أن أشعل ثورة الحبّ الّتي آنفتُ ذكرها ، وربّما لم أحرّك ناراً للشّوق داخلكِ . وقد لا أكونُ جعلتُ منكِ صاعقةً تجتاحني كنجمةٍ هاربةٍ من السّماء في ومضة شهبٍ خاطفة...

نعم ربّما فشلتُ .. ولكن هذهِ ليستْ طامتي أو ذنبي الأكبر

ما يعذِّبني أنّ النّار قد اشتَعلتْ على كلّ الأحوال ... ولكنّني أصبحتُ أنا رمادها المنثور ...

فلملميني و انقذيني من ناركِ ،أو من ناري
من ثورتكِ ، أو من ثورتي ...
وكوني فيضاً من الماءِ يطفئني ، وكوني نسمة فرحٍ في قلبي و
في مهجتي ......

أحسدُهُ

أحسدُهُ

ولأنّهُ يصفُكِ كما يصف

قمراً في السّماء ..أحسدُه

ولأنّهُ لا يأبهُ للعواقب

والهزائم ..أحسدُه

ولأنّه أقرب إلى عينيكِ منّي

وأبلغ في الوصف منّي .. أحسدُه

يكسر حواجز الصَّمت

ويتجاوز حدود الجّبن

و يسبقني إليكِ ..

يُصرّح بِحُبّهِ لكِ ..

يعترف أمام الملأ ..

أميرته أنتِ ومُلهِمته أنتِ

و مصيره المحتوم أنتِ ..

يا لِشجاعتهِ ..يا لِفصاحتهِ ..!

ذاكَ هوَ قلمي ..

أَيَحْسِدُ الكاتبُ قَلَمَه ؟!

الحبّ والحياة

بعد اللقاء الأول...

الحبّ والحياة بعد اللقاء الأول...

بين الحزن الجّميل والفرح القاتل وقع قلبي حين وقفتُ بكلِّ ثقةٍ أمام عينيها متظاهراً الاعتذار عن ذنبٍ لم يكن اقترافه بيدَي ...

تبّاً للزّمن كم كان سريعاً عاصفاً كالبرد الّذي شهد على ذلك الحدث.... و تبّاً لخفقات قلبي الّتي ردّدتْ اسمها المجهول بإيقاعٍ متضارب الصّدمات ..

أمام الملكة أقفُ ويتوقّف الكلام ..فأحتال على الكلمات...

أعتذر ولا أريد أن أعتذر ...

أُودِّع و خُطايَ مسمَّرةً في الأرض وكأنّها لا تريد أو لم تعد تسطيع الرّجوع ..

أيُّ موقفٍ هذا ! وأيُّ حدث !

وما الّذي أحدث ذلك الدّوران المريب في ذهني !

وأيُّ رعشةٍ رَعَشَتْ بها يَدي !

وأيُّ تهورٍ تمثّل في وِقْفَتي شامخاً أمامها !

يا لتلك السَّعادة الّتي جنيتها من تلك اللحظات الوامضة كبرق الضّوء حين يلفت الأنظار من بعيد....

على مقربةٍ منها وقفتُ ..وبعينيها ،اللتين بدتا وكأنّهما نجمتان في سماء وجهها المشعّ كنور المؤمنين القاطنين في جنّاتهم بعد أن تضرّعوا إلى الله عبادةً في حياتهم،حدّقت ...

تُحدّثني وتُشهر بيدها الّتي أَسَرَتْ قلبي بحركتها ذهاباً وإياباً . وأنا ، كمن يجهل عدد أصابع اليَد ، رحت أعدُّ أصابع كفّها الّتي أَشَعَّتْ كالشّموع في تلك اللحظات الّتي سأبقى أتذكّر أثرها إلى آخر ومضةٍ في عمري .

ولأنَّ الحياة محطةٌ ، وفيها راحلون و قادمون ، ولأنَّ هذا هو قانونها الافتراضي ، فقد مضيت إلى حيث جئت بخيبةٍ كبيرةٍ

تحمل شيئاً من الأمل ..
ربّما أعود يوماً ...

مشيتُ وكأنَّ جمراً يفترش الأرض تحت أقدامي ..!
لعلّه جمر الحبّ أو جمر غدره !

هكذا هوَ الحبّ حين يغدر ..
يطعن في الظَّهر ويتظاهر الابتسامة في الوجه ..يضع مخدِّراً على الجرّح ويُقنِعُكَ بأنَّكَ بخيرٍ وبأنَّكَ لازلت حيّاً ، ويكون قد حضَّر لدفنك وكتب فوق قبرك هنا يرقد عاشق الملكة الحسناء ..أو هنا ترقد الضّحيّة ..أو ضحيّة غدره بالتّحديد....

بالأمل ..يقتلك ،وبانتظار ما لا أمل في قدومه..يقتلك
هذا هوَ الوجه الآخر للحبّ .. وللحبِّ وجوهٌ متعدّدة

الحبُّ كبناءٍ مرتفعٍ فيه مصعدٌ لمن أراد اعتلاءه .. يصعد بك .. يطير بك، يُحلّق إلى أعلى مراتب الجنّون وأعلى طابقٍ في

الخيال ... ثُمَّ يهبط بك إلى واقعك الّذي لا يملك من الحبِّ إلّا وهمه أو حقيقته الواهمة .

ولكنَّ عزاءك أنّك تكتشف ببطءٍ وأنت تهوي إلى الأرض في أيِّ المراتب أنت ، وفي أيِّ خيالٍ كنت وأيُّ واقعٍ يسحبك إليه ... وهذا يُحْسَبُ للواقع ، أو للمصعد ربّما ، وليس للحب .. فهوَ ما طار بك إلّا ليرميك من أعلى قمةٍ فيَفتك بك ...

مُتكبّرٌ هذا الحبّ ... مُتغطرسٌ يبني مجده على دماءِ ضحاياه وما أكثرهم ...!

يُوهمك بأنّك مُعلمٌ مُتمرّسٌ فيه . وحين يغدر بك ، يُعيدك تلميذاً مُبتدئاً إلى مقاعده الدّراسيّة .

هذهِ هيَ الحياة وهذا هوَ الحبّ ... وهذا هوَ حالي بعد ذلك اللقاءِ ....

بداية حب

بداية حب

لدّي شعورٌ بأنّني
خُلقتُ من جديد
وأنّ عمري يومان
يدنو أو يزيد
لديَّ عشقٌ للألم
وحبٌّ للسَّهر
وإحساسٌ فريد
أراكِ في فنجانِ قهوتي
ومع الدمِ تسرينَ في الوريد
وأحلامٌ تطاردني
بين الحينِ والحينِ
وتأخذني
إلى الماضي البعيد
عيناكِ تأسراني
وتقتلاني

وأنا غارقٌ
في حلميَ السَّعيد
يحيّرني حبُّك
تارةً ليّن
وتارةً يفوق
بقسوتهِ الحديد
وأنا لا أدري
ما الخطبُ سيّدتي
ولا أعلم
إن كنت أحتملُ المزيد
ولكن ما أدركهُ
أنّي أحبّكِ
وأنكِ أصبحتِ
حبّيَ الأزليّ الوحيد

إلى غائبة

إلى غائبة

وقفتُ على شاطئ البحر ، أشكو لأيلول الكئيب غيابَكِ الطويل عنّي ، وأُحدِّثُ الأمواج عن ابتسامتكِ الَّتي لم أعد أرى شيئاً سِوَاها ....

بَدَا أيلول وكأنّه يُجيدُ السُّؤال في الظّل ...

سَألني بصمتٍ ...فأجبت...

حدّثته عن الحُبّ ، فحدّثني عن الفراق ،هربتُ منه إلى الماضي ،فأعادني إلى حاضري الَّذي لم أعد أطيق العيش فيه...

حدّثته عن اللقاء ، فأخبرَني أنَّ اللقاء وهمٌ .. خيالٌ .. وأنَّ الرَّحيل واقعٌ لا يريد القدر تغييره.....

تألّمَ أيلول ...صرخ أيلول ... وأنا ، كمن فَقَدَ الأملَ في كلِّ شيءٍ إلّا في رجوعكِ،رفضتُ رواياته ، ومزّقتُ قِصصه....

غضبتُ ..ثرتُ.. وأحرقتُ كلَّ الأوراق الّتي تُكرِّس فلسفتهِ وثقافتهِ الحزينة.....

حدّثته وحدّثني ،غضبتُ منه وغَضِبَ منّي ، سَادَ الصَّمت بُرهةً .. ثمَّ عادَ فحدّثني.....

أخبَرَني بأنَّكِ لن تعودي ... وأنَّكِ سوف ترسين على شواطئ أخرى بعيدةً عن عينيَّ ... بَعيدةً عن قلبي.

ألحَّ أيلول كثيراً ، نصحني أنْ أعود وحدي ، راضياً بقدري ، مسلِّماً بتجربته المريرة في الحبِّ والفراق .

مذهولاً وقفتُ ، مُستنكراً أزحتُ النَّظر عن شهر ميلادي المتشائم...تظاهرتُ بأنَّني لم أكن أُحدِّثه ، وقلتها مِراراً ،وصوتي تحتويه غصَّة الفراق : هل تسمعني أيّها البحر؟ هل تسمعينني أيّتها الأمواج ؟

أيّتها النّجوم؟

أشفق أيلول بدموعي ، وأمسَكَ يدي ، والدَّمع في مقلتيه كزبد البحر الَّذي بَدَا هوَ الآخر وكأنَّه لا يريد للحديث أن ينتهي فيشفي غليله بالبكاء ، وهمس (أيلول) قائلاً: لقد ذَهَبَتْ كما ذهبَ موطنك الجَّميل.. وغَدَتْ حلماً صعباً كواقع بلادك المليء بالآهات والآلام ...

قالها أيلول .....فعلها أيلول.

استدرت رافضاً كلّ تلك الأقاويل .. كلّ ذلك الواقع المؤلم.

هتف أيلول عالياً ، وبحَّة حزنه ترنُّ في مسمعي ، قائلاً:

حبيبتك الغائبة.. كبلادك النّازفة

لن تعود...لن تعود.

وتسألني

و تسألني

وتسألني بعد غيابها :

هل نسيتني ؟

وهل أصبحت تمشي

في شوارع حلب

دون أن تنهمر الدّموع

من مقلتيك ؟

وهل اعتدت غيابي

فلم يعد يرنّ

صوت ذكراي في أذنيك ؟

أتشتاقني أنت

كما يهزّني الشّوق إليك ؟

أم أسلمت قلبك لأخرى

فشبكت يديها

في يديك ؟

******

هل كتبت عنها ؟

وهل نثرتها حروفاً

على أوراقك

وهل تخبئها في قلبك

أم في أحداقك ؟

******

قلي يا حبيبي

أخبرني عن الأحوال لديك

و أيّاً كان حالك

فإنّي مشتاقةٌ إليك

******

أجيبها والشّوق إليها يقتلني:

لا تسرحي في خضّم الأسئلة

ستصلك رسالتي

وستجدين البوصلة

لا تدعي الفضول يعتريكِ

فيدخل الشّك في المخيّلة

اهدئي يا حبيبتي

اهدئي ولا تتسرعي

سأشرح لك المسألة

دعينا ننقذ الحبَّ

خارج مدينتنا

فمدينة السّلام تفتقر السّلام

حلب لم تعد يا حبيتي كما كانت

و عنها رحل الحبُّ

و مات في صدرها الهيام

******

بات الرّعب سيّدها

و حلّق بعيداً عن سمائها الحمام

دعيني أهرب إليكِ

فهنا كل شيءٍ حطام

الحبّ هنا حطام

والشّعر حطام

والإنسان حطام

******

كيف أنساكِ يا حبيبتي؟

كيف أنساكِ وابتسامتكِ

لازالت تملأ المكان؟

كيف أنساكِ وأنتِ

بصيص أملٍ

ينقذني من تحت الرّكام ؟

أنقذيني يا حبيبتي

من تحت الرّكام

******

لمن أكتب الشّعر يا عصفورتي

وبمن أخطُّ السّطور

وكلّ قولٍ بعدكِ

كلامٌ بكلام ؟

******

أنقذيني من كآبتي

ومن غربتي

و خذيني بعيداً

عن الحقد

خذيني

لأنسى بائعة الورد

تلك الطّفلة الصّغيرة

وأنسى معاناة أسرتها الفقيرة

و أنسى قذيفة الموت الطّائشة

التي نثرت أشلاءها وروداً و عبيراً

******

ضمّيني .... ضمّيني

ضمّيني بين ذراعيكِ

فقلبي ينقصه الوئام

ضمّيني إلى صدركِ

واكتبيني قصيدةً جديدةً

وكوني فيها حسن الختام

حكاية لا تنتهي

مابين حزني ، وألمي ، وفراقي ، واشتياقي ....حكايةٌ لا تنتهي....

حكايةُ طفلٍ مازالَ متعلقاً بحنان أمّهِ ،والجّدران والأرصفة...

يحنُّ إلى حقيبته الدّراسيّة ، وينشد ابتساماته البريئة...

حكاية جِراحٍ لم تجف ، وحكاية قهرٍ مازال كالمرض يلازمني و ينهش في جسدي ...

حكاية عاشقٍ مقهورٍ ، لا يجد إلى حبيبته سبيلاً ، ولازال متمسّكاً بالمكان... .بالزمان ... و الورود......

وتستمر الحكاية ....وكذلك القهر ...

ذكرى رجلٍ قد مات

ذكرى رجلٍ قد مات

لازال الشَّوق يملأُ جدران غرفتي الحزينة ..

ولازالت الصّوَر تسألُني عنكِ

وأنتِ ... آهٍ منكِ أنتِ ...!

في الدّفاتر وفي الخواطر

وفي الأحلام تهمسين ...

في الحروب

ومن بين الأنقاض

تخرجين ...وتتبسَّمين ...

لازلتُ أمشي وكأنَّكِ هنا

بقربي ...

تمشين وتضحكين وتغرّدِين ...

تعالي

تعالي ولملمي

ما تبقَّى من حُبِّنا..

لملمي آهاتَ حُبِّنا

وأسرار حبنا

وأشلاءَ حُبِّنا..

واجمعي الصُّوَر والذّكريات ...

تعالي أرجوكِ ...

نعم أرجوكِ ...

تعالي قبل الرَّحيل مُعذّبتي

تعالي وخذي تاريخ ميلادي

وأنتِ تعرفين جيداً

تاريخ ميلادي ...

خذي آلام السَّاهر

وجنون نزار

واحملي سحر فَيْرُوز بين يديكِ

علّه يعيش هناك

بعيداً عن كآبتي

بعيداً عن حزني ..

هناكَ ...

حيث الأفراح والنَّسمات

تعالي بحقّ السّماء تعالي

تعالي وخذي العشق

والخواطر والكتابات...

ثمَّ ارحلي

ارحلي دون عِناقٍ

واحملي في جعبتكِ

كلّ ورودكِ الجّميلات

وكلّ ما طبعتهِ على خدّي

من قبلات ...

وصادري كلّ ما كتبتُ

في عينيكِ

من شعرٍ وكلمات

واحرقي رسائلي

وما رسمتُ في حُبّكِ

من لوحات ...

حتَّى القلب

ادفني القلب ...ادفنيه

واحضري العزاء بعد دفنه

و وزّعي الابتسامات

فأنا يا حبيبتي كُنْتُ

وأصبحتُ الآن

ذكرى رجلٍ قد مات

ذكرى رجلٍ

قد ماتَ ... قد مات ...

ذكراكِ والمطر

عند هطول المطر ..في الليل المظلم ...أستيقظُ من حلمي الحزين بلهفةٍ وحزنٍ ودمعٍ خجولٍ...أبحثُ في زوايا حجرتي ...سائلاً قلمي المرتعش المتأثّر عنكِ ... أفتّشُ في الرَّسائل ..في الكتب ...وبين الورود فلا أجدكِ...

فقط أجد طيفاً من خيالكِ الّذي غاب عن عينيَّ منذ زمنٍ... وبقوةٍ في الذّاكرة حضر....

كنتِ ماضياً جميلاً مليئاً بالعِبَر .. وما زال يأتي ويعود بأحلى الصُّوَر...

وذكراكِ ... ياالله .. كم يشبه ذكراكِ المطر...

الحبّ وعينيها

لطالما تغنَّيتُ بالحبِّ وثورته وجنونه و إعصاره ...

و رسمتُ من الشِّفاه الحمر لوحةً أسطوريةً ، علّقتها على شرفات الشّمس..

وكم حلمتُ بيدَيها تحطّ كياسمينةٍ دمشقيّةٍ على خدّي

وكم سافرتُ وراء خيالٍ اختزل واقعي ، وبات الحاضر السّائد في كلّ تفاصيلي ...!

وكم بحثتُ ..وكم ثرتُ ..وكم كتبت ...

ثمَّ جاء الامتحان و رأيتُ عينيها ...فجبنت !

طيفكِ والنّوم

طيفكِ والنّوم

و تحارب طيفكِ والنّوم

في عيوني

و على أحداقي جرت المعركة

ما سرّ التّباعد بينهما ؟

ما أصل النّفور بينهما ؟

ما سرّ المعركة ؟

حربهما باردة

أعصابهما باردة

لا يستسلمان

و إلى طاولة الحوار لا يجلسان

لا يربحان .. لا يُهزمان

ترجح كفّةٌ و تهوي أخرى

و القضيّة هي القضيّة

موازين القوى متعادلة

ولِطَيفكِ حاضنةٌ شعبيّة

لا وسيط بينهما

والحرب طويلةٌ أبديّة

شغلهما الشاغل .. أنا

قضيّتهما ..أنا

والقضيّة ... هي الضّحيّة

جلسة في الكافيه نت

جلسة في الكافيه نت

كانت نظرة عشقٍ تُخفي الكثير من الحنين ...

وكانت تسافر في لحظاتٍ ..ثم تعود ..وتعود معها الحياة

كأنَّ فراشةً قد اخترقت المكان وجالت تُحدِّق في رجلٌ قد جُنَّ في الهوى وللعشق في قلبه حكاياتٌ وقصصٌ وطعنات

كانت الأفكار تأتي مبعثرةً ... تأتي فتغيب النظرات ... وآهٍ كم لوَّعتني تلكَ النّظرات ...!

شعرتُ للحظاتٍ أنَّ رواياتٍ تُكْتَبُ في مخيّلتي ، وأنَّ قصائد فريدةً تُعلَّق على جدار الأفق ... ثمَّ تعود النّظرات ...

تارةً تحمل سحراً وتارةً تحمل عشقاً بريئاً ..ترتبك ، فتستدير...

تعود للحاسوب مرةً ، ومرةً تتصفَّح رواية (ماجدولين) الَّتي كانت بين يديها ..

لا يبدو أنَّها كانت تقرأ .. ولا أعتقد أنَّه كان بمقدورها أن تقرأ حينها...

كانت عيناها وطناً من الدّفء ..آهٍ من وطنٍ أحتاجه...

وكانت ابتسامتها عُنفواناً وكبرياء ..إنَّها أميرةٌ تغار منها النّساء..

برودي كاد يقتلها...وكادت تُشعل ثورةً في المكان ...وكانت رسائل الغضب البريء تنبعث من أحداقها ...

وبفوضى المكان ..حَمَلَتْ آخر الأحلام ، ثمَّ يمّمتْ وجهها نحوَ الغروب ..وغابت مع الشّمس ...

الحنين والعاصفة ...

الحنين والعاصفة ...

أسدل الليل ستاره على مسرح يومٍ حزينٍ دَهَمَتْهُ الذّكريات ، وسطَّر الحنين عناوينه الرَّئيسة ... فتسرَّبتْ إلى مسام الفؤاد رائحة عِطركِ ...

اشتدَّتْ الرِّيح ...وعلا صفيرها ،وبدأتْ تفتك بكلّ شيءٍ حولي ، فاشتدَّ بيَ الحنين إلى عينيكِ ....

كانت الرِّيح تعصف بقضبان الحديد ،وتزلزل النّوافذ ، وتأرجح الشّجر ...

تساقطتْ .. وتناثرتْ أوراق الشّجر ....

تجاوزتْ الرِّيح حدود واقعها ، وحاولتْ كسر ذلك القفص الجَّاثم فوق صدري لانتزاع قلبي القابع خلف قضبانه ، وإيهامه

بأنَّه سوف يأتيكِ ليقضي نحبه بين يديكِ ... حتّى الومضة الأخيرة بين تلك الرّاحات باتت حلماً ...!

وذهبتْ الرِّيح إلى ما هوَ أقسى ، وغزتْ مع الشّوق ذاكرتي ، فجاءَ نسيمها البارد يداعبني كعطركِ الَّذي لم يفارق الهواء الَّذي أستنشقه يوماً ، و ربّما لم أكن لِأَحيا لولا رائحة ذلك العطر ...

موجعٌ هذا الحنين يا سيّدتي .. موجعٌ ، فتّاكٌ كهذهِ العاصفة .... كهذا البرق .. كهذا الرّعد المخيف ..

آهٍ ...آهٍ كم أتمنّى أن تقلعني تلك العاصفة ، أو أن يسحق الرّعد ذاكرتي ،علّني أنساكِ أو أرحل بعيداً ، حيث لا ذكرى ، ولا حنينٌ ... ولا حياةٌ .

كان يريدها أن تبتسم

كان يريدها أن تبتسم

كان يريدها أن تبتسم و كان قلبه الّذي أنهكه العشق ، قد فرَّ من صدره و راح يترقّب مجيئها ..يعدُّ الدّقائق .. يُسيِّرُ الزّمان ، يستعجله ..لم تكن ساعته في معصم يده ، بل في قلبه ...

كان يترقّب كلّ شيءٍ يخصّها .. الطريق والبوّابة والمقاعد والبَلَاطَات الّتي سَتطؤها بأقدامها و لو استطاع لفرش الأرض وروداً أمامها ..أو صنع من نسيج قلبه سجّاداً فاخراً أحمر اللون كدمه الّذي يغلي كلما رآها ...

لم يعد يرى شيئاً في الوجود سواها ، ولم يعد يسمع صوتاً ، بعد أن سمع أَنَّةَ النَّاي مُصَادَفَةً في همسها ، إلّا صوتها .. ولم يعد يعنيه عِطرٌ غير عِطرها ..

هي لا غيرها ... حلمه

هي لا غيرها ... نبضه ، فكيف يعيش بلا نبضه ؟!

كان يريدها أن تبتسم لربّما يرتاح قلبه المرهف للحظةٍ ، أو ليُمسك من خيوط الأمل المتضائلة خيطاً ، أو لتتغيّر ملامح وجهه الذّاوي الّتي فتكتْ بجغرافيّتها ساعات الليل الطّويلة .. ساعات التّفكير بها .. ساعات الخيال الحاضر في غيابها .. ساعات الموت المحبّب .. أو ساعات غيابها الحاضر

كان يريدها أن تبتسم لِيُوهِمَ روحه الّتي فاضتْ بحبّها أنّها تحبّه أو أنَّ ابتسامتها كانت له دون غيره ، أو أنَّها التفتتْ لوجوده و هذا أقلّ ما يدخل السَّكينَةَ في قلبه و يجدّد الأمل في طيّات فؤاده المتجّعدة ...

كان كَمَنْ يترقّب وردةً جميلةً في حديقةٍ لا يمكنه الوصول إليها فيتأمّلها من بعيد . وكم تمنّى لو تحوّل إلى حبّاتٍ من المطر لينزل و يتدفّق برفقٍ فوق أوراقها .أو جدولاً يشقّ الأرض متيمّماً وِجْهَتَها ... يسقيها من دموع قلبه ... تُزهر .. فتبتسم ... كان يريدها أن تبتسم .

كان يتصوّرها وطناً يحميه من غربته الأبديّة ، وحُضناً أموميّاً يكتنفه ، و لغةً يُخاطب بها أحاسيسَه الّتي سبقته إليها ..

كان يصرخ ألماً حين يأسره الصّمت مُجبَراً، فلا هوَ يبوح ، ولا هي تدري ... كان يريدها لغةً ليتحدّث إليها فقط ...

كان يراها حياةً غير تلك الّتي يعيشها في مدينته الكئيبة ، والّتي اعتلى الدَّمُ رصيف شوارعها ، و فاحتْ رائحة المسك من جراح شهدائها

و كان يريدها منفىً يهرب إليه حين يجيء المساء بعربة الألم القادمة من كلِّ بيتٍ ، من كلّ الأزقّة في حيّهِ المنكوب .

كان ينتظر ابتسامةً منها تُنقذه حين يسمع نواح أمِّ الشّهيد و زغاريدها في عرس فلذة كبدها و هو يُزَفُّ إلى فِرْدَوْسِهِ الموعود ..هنا أرادها أن تبتسم لتُسعفُه الحياة فيستمر بها ...

كان يحتاجها ظِلّاً في صيفه الحار ، و شمساً في شتائه البارد و زهرةً نَظِرَةً في ربيعه العاجل ، وأملاً قادماً في خريفه الحزين ...
كان يريدها أن تبتسم لتبقى الفصول أربعة .

كان يريدها أن تبتسم لتزيد حواسه حاسّةً سادسةً ..أو ليضمن على أقلِّ تقديرٍ أنَّ حواسه ما زالتْ خَمساً ...

كان يريدها أن تبتسم ليضحك له الحبّ
وحين غَرَسَتْ سهمها الجّارح في قلبه وقتلت حلمه معلنةً صدَّه ..ابتسمَتْ ...
ابتسمَتْ فضحك عليه الحبّ ولم يضحك له
يكفيه أنَّها ابتَسَمَتْ على أيِّ حال .!

أنا وقلبي وأنتِ

أنا و قلبي و أنتِ

عندما أحببتكِ شعرتُ أنَّ معالم الأرض قد تغيّرت ، و أنَّ اضطراباتٍ في النّفْسِ قد أخذت حيّزاً مرعباً ، لم أعهد بمثله من قبل. و شعرت أنَّ ما كان يدور خلف الكواليس ، بات عرضاً حقيقيّاً على خشبة المسرح ...

كنتُ أناشد الوقت كي يمرّ كالصّاعقة معلناً دخولي في رحلة اللحظات الأولى من هذا الشّعور الذي يحلو بمرّه ويسمو بعذابه ويستوقفه شيءٌ ما في ذهني ...
ذهني الّذي آثرتُ الابتعادَ عنه و رَفْضَ نصائحه أو الإصغاءَ إليه.

شيءٌ ما كان يخيفني .. ربّما هوَ المجهول و ربّما هو فعلٌ بسيطٌ أو ردّة فعلٍ أسمّيها ، بإحساسي هذا ، جُرحاً.

كان قلبي يعتب على الوقت الّذي توقّف في تلك اللحظات و بات أبطء من أن يلحق بدقّاته المتسارعة ... أو المتسرِّعة!

كنت أخشى خسارة الرّهان إذا ما تقدّمت نحوكِ بخطىً مُتسرّعة . فأنا ،على عكس قلبي ، أفضّل لذّة انتظار الأشياء الجّميلة على أن أظفر بها ، لاسيما أنّني أجهل عواقبها ...
فهنا ينتهي الأمل .
ولولا الأمل لما كنتُ أنا ، ولما كُتبتْ هذه السّطور ...

أما قلبي ، هذا الّذي يستثير الشّفقة حقّاً ، فقد فضّلَ أن يكون ضحيّةً ... لا أدري لماذا ، ولا تفكيراً أسعفني لأعرف لماذا اختار قلبي أن يصير ضحيّةً ، و أن يطلب منكِ قتله ... وبلا قصدٍ فَعَلتِ !

كنتُ أجهل كلّ أسرار قلبي و بحثتُ عبثاً عن سرّ الدّوافع الّتي أودتْ به ممزّقاً إلى التّهلكة و ما دواعي سروره تلك ... و أيُّ سرورٍ يأتي به الموت هكذا يا سيّدتي ؟!

لم يكن القدر راضيّاً أن أعرف تفاصيلاً عن تلك الجرّيمة الغريبة . و لهذا لم يمهلني وقتاً كافياً . ولكنَّ الألم تولّى إخباري ما كنت أجهله ...

إنَّ مشكلة قلبي يا سيّدتي هيَ أنَّه لم يعرف الاعتدال في حبّكِ يوماً . كان متطرِّفاً في عشقه لكِ . و قد لاقى الموت جزاء تطرّفه ...

و مشكلتي أنّني لم أكترث لعقلي حينما قال لي احفظ قلبك التّائه من المِصْيَدة ...
فخسرتُ قلبي و عدتُ بلا عقلٍ ..!

ما أصعب أن يحتار الإنسان بين حكمة عقله و سطوة قلبه وفي الآخر يخسرهما معاً .... إنَّه حُبّكِ أنتِ ..

فلتهنئي بسلامٍ يا سيّدتي .. ولِيرقد قلبي الرَّاحل بسلامٍ

و أنا.. سأعيش فاجعة الفقدان ... والسَّلام ....

النهاية

فهرس

إهداء	٥
تمهيد	٧
تعريف بالكاتب	١٣
إلى مليكتي	٢٠
كبرياء عينيكِ	٢١
ثورة الحب	٢٥
أحسدُهُ	٣٥
الحبّ والحياة بعد اللقاء الأول	٣٩
بداية حب	٤٥
إلى غائبة	٤٩
وتسألني	٥٥
حكاية لا تنتهي	٦٤
ذكرى رجلٍ قد مات	٦٥

ذكراكِ والمطر	٧٣
الحبّ وعينيها	٧٤
طيفكِ والنّوم	٧٥
جلسة في الكافيه نت	٧٩
الحنين والعاصفة	٨٣
كان يريدها أن تبتسم	٨٧
أنا و قلبي و أنتِ	٩٣

* * *

كانَ لحياتِها ظِلّاً في صيفهِ الحار ..
وشمساً في شتائهِ البارد ..
وزهرةً نظرةً في ربيعهِ العاجل ..
وأملاً قادماً في خريفهِ الحزين ..
كان يريدها أن تبتسمَ لتبقَ الفصول أربعة ..
كان يريدها أن تبتسمَ لتزيدَ حواسه حاسةً سادسة ..
أو لتضمنَ على أقل تقديرٍ أنّ حواسه مازالتْ خمساً ..
كان يريدها أن تبتسم ليضحكُ له الحب ..
وحين غرستْ سهمها الجارح في قلبه
وقتلتْ حلمه معلنةً صدّه ... ابتسمتْ ..
ابتسمتْ .. فضحكُ عليهِ الحب ،، ولم يضحكُ له ..
يكفيه أنها ابتسمتْ على أيِّ حال ..!

ابراهيم حميدي